قلب أحد، وتخلَّى عنه أبوه بعدما بالغ واجتهد في خلاصه، فلم يقدر، [وما كان سبب وفاته إلا السَّامري، فإنَّه ضيَّق عليه،][(١)] وآذاه، فمات غماً وغبناً ليلة الجمعة ثاني عشرين ربيع الآخر في محبسه، وحمل إلى تُرْبة جده الكامل، فدفن بها، رحمه الله تعالى.

[ولقد صبر صبر الكرام، وسار إلى دار السلام، وآل مآل السامري إلى الدرك الأسفل من النار، فلا رحم الله تلك العظام][(٢)].

الملك السَّعيد عمر بن شهاب الدِّين غازي

[صاحبِ ميافارقين][(٢)].

كان شاباً، حسن الأخلاق، مليحَ الصُّورة، جَوَاداً، شجاعاً، وكان التَّتر قد استولوا على ديار بكر، وأخذوا خِلاط، فخرج غازي من مَيَّافارقين هارباً منهم ليستنجد عليهم الخليفة والملوك، وخرج معه ولده عمر، وأمير حسن بن تاج الملوك أخي غازي، فوصلوا إلى الهرماس لوداع غازي، فقال غازي لولده عمر: يا ولدي، المصلحة أَنْ ترجع إلى ميَّافارقين تحفظ المسلمين من التتر، وأنا أروح إما إلى بغداد وإما إلى مِصْر أستنجد الملوك، فقال: والله ما أفارقك، وجاء حسن بن تاج الملوك فجلس إلى جانبه، وأخرج سكِّيناً، وضرب عمر في خاصرته، وهرب ليرمي بنفسه في العين [ليغرقها][(٢)]، فصاح [غازي][(٢)]: أمسكوه، فقد قتل عمر ولدي. وقام غازي ليقتله، فقصده حسن ليقتله، فرمى عمر بنفسه على غازي، وقال لحسن: يا عدوَّ الله، قتلتني، وتقتل والدي. فضربه حسن بالسَّيف فقطع خاصرته، فوقع إلى الأرض، وأمر غازي بحسن فَقُطِّع قِطَعاً، وحُمِلَ عمر إلى الحِصْن، فدفن به، وحَزِنَ عليه والده حُزْناً عظيماً.

السنة الثالثة والأربعون وستّ مئة

فيها حَصَرَ معينُ الدِّين ابنُ الشيخ والخُوارَزْمية دمشق، وضايقوها، وقطعت الخُوارَزْمية على النَّاس الطُّرق، وزحفوا على البلد من كلِّ ناحية، وفي يوم الاثنين

(١) في (ت): وضيق أمين الدولة عليه وآذاه، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) ما بين حاصرتين من (ش).

ثامن المحرَّم بَعَثَ الصَّالح إسماعيل إلى معين الدِّين سجادة وإبريق وعكّاز، وقال: اشتغالك بهذا أَوْلى من اشتغالك بقتال الملوك. فبعث إليه ابنُ الشيخ بجنك وزمر وغلالة حريري أحمر وأصفر، وقال: السجادة تصلح لي، وأنت أَوْلى بهذا. وأصبح، فركب في العساكر، وزحفوا من كلِّ ناحية، ورموا النِّيران في قَصْر حجاج، فضربوا بالمجانيق، وكان يوماً عظيماً، وبعث إسماعيل الزَّرَّاقين يوم الثلاثاء تاسع المحرم، فأحرقوا جوسق العادل، ومنه إلى زقاق الرمان [و] العقيبة بأَسْرها، ونهبت أموالُ النَّاس، ورموا على الطرق، واحترق بعضهم، [وحكي لي أن رجلاً كان له عشر بنات أبكار، فقال لهن: اخرجن. فقلن: لا والله، الحريق أولى من الفضيحة. فاحترقت الدار، واحترقن، ولم يخرجن][1]، وجرى على النَّاس ما لم يجر في بلدٍ آخر.

وفي ربيع الآخر خرج المنصور صاحب حِمْص من دمشق [إلى ظاهرها، واجتمع ببركة خان، واستبشر النَّاس باجتماعهما، وعاد المنصور إلى دمشق][1].

وفي جُمادى الأولى فُتحت دمشق؛ بَعَثَ أمين الدَّوْلة إلى ابنِ الشيخ يطلب منه شيئاً من ملبوسه، فبعث له فَرَجيةً وعِمامة وقميصاً ومنديلاً، فلبس ذلك، وخرج إلى ابنِ الشيخ بعد العشاء الآخرة، فتحدَّث معه ساعة، ثم عاد إلى دمشق، ثم خرج مرة أخرى، فوفق الحال، وخرج إسماعيل وصاحب حِمْص في الليل إلى بَعْلَبَك، ودخل ابنُ الشيخ دمشق، فنزل في دار سامة، ودخل الشِّهاب رشيد إلى القلعة، وولى ابنُ الشيخ الجمالَ هارون المدينة، وصَدْرَ الدين بنَ سني الدولة قضاء القضاة، فاستنابَ العزيزَ السِّنْجاري والكمالَ التفليسي، وعَزَلَ محيي الدِّين بنَ الزكي.

ووصل سيف الدين بن قليج من عجلون إلى دمشق تاسع عشرين جمادى الأولى منفصلاً عن النَّاصر داود، وأوصى بعجلون وماله للصَّالح أيوب، ونزل بدار فلوس.

وجهَّز ابنُ الشيخ أمين الدولة [السامري][1] إلى مِصْر تحت الحوطة.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

وأما الخُوارَزْمية فإنهم لم يحضروا الصُّلْح، ولم يعلموا به، فلما علموا رحلوا إلى داريا، فنهبوها، وأتلفوا ما كان عليها، ثم رحلوا نحو الشَّرْق، وكاتبوا الصَّالح إسماعيل، واتفقوا معه على أيوب، وانتقض الصُّلْح الذي قرَّره أمينُ الدولة.

ووصل [ابن خالي][1] عبد الرحمن بن محيي الدين بن الجوزي، وابن سُنْقُر من بغداد بخِلَع السَّلْطنة للصَّالح أيوب؛ وهي عِمامةٌ سوداء، وفَرَجية مُذْهبة، وتُرْس ذهب، وسنان محلاة، وغلامان، وطوق ذهب، وحصان بسرج، ولجام، وخِلَع لأصحابه، ومنشور، ومضيا إلى مِصْر، فالتقاهما، ولبسها على العَبَّاسة.

وعادت الخُوارَزْمية، فحصرت دمشق، وجاءهم إسماعيل من بَعْلَبك في ثالث [عشرين][1] ذي القَعْدة، وضيَّقوا على دمشق، فبلغت الغِرارة ألفاً وست مئة دِرْهم، والقنطار الدقيق تسع مئة درهم، والخبز أوقيتين الأربع بدرهم، والرطل اللحم بسبعة دراهم، وعَدِمَتِ الأقوات، وبِيْع العَقَار بالدَّقيق، وأُكلت الميتات والجِيف والدم والقطاط والكلاب، ومات النَّاس على الطُّرُق، ونَتُنَتِ الدُّنيا، [فكان الإنسان إذا مَرَّ بالجبل وشَمَّ روائح النَّاس مرض ومات][1]، وضجر النَّاس من الغَسْل والتكفين، فكان النَّاس يخرجون، فيحفرون الآبار، ويرمون النَّاس بعضهم على بعض، ومع هذا كانت الخمور دائرة، والفِسْق ظاهر، والمكوس بحالها.

ولما علم الصَّالح أيوب بأنَّ إسماعيل قد اتَّفق مع الخُوارَزْمية شَرَعَ يقطع عنه المنصور صاحب حمص، ويستميله ويمنِّيه، فأجابه.

[وفيها قدمتُ من مصر إلى قاسيون، ومرضت، فخرجت إلى العراق في السنة الآتية، فقدمت بغداد في رمضان][1].

وفيها وصلت الكُرْجية بنت إيواني زوجة الملك الأشرف التي أخذها الخوارزمي إلى خِلاط، ومعها منشور خاقان بخِلاط وأعمالها، وراسلت شهاب الدين غازي تقول: إني كنت زوجة أخيك الأشرف، وخاقان هذا أقطعني خِلاط، فإنْ تزوَّجْتَ بي فالبلاد لك. فما أجابها، فأقامت بخِلاط، وكانت غاراتها تصل إلى مَيَّافارقين.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

وفيها بعث الصَّالح [نجم الدين][١] أيوب حسامَ الدين بنَ بهرام إلى الحِصْن ليحضر المعظَّم تورانشاه إلى مِصْر، وبعث بدرُ الدِّين لؤلؤ إلى المعظم الخيام والمماليك والخيل، وكذا فعل شهاب الدِّين غازي، وكتب أيوب إلى ولده مع [ابن][١] بهرام: الولد تقدم [على][١] خيرة الله، وتصل إلى بالس، وتعدِّي عندها، فقد اتفقنا نحن مع الحلبيين، وقد ذكروا أنهم يجرِّدون ألف فارس في خِدْمتك، واعبر ببلد مارِدِين ليلاً، فما نحن وإياهم متفقين. فلما قرأ الكتاب كَرِهَ ذلك، وما كان يؤثر الخروج من الحِصْن، وقال لابن بهرام: يكونُ الإنسان مالك رأسه يصبح مملوكاً محكوماً عليه! ولم يجبه.

قال المصنف رحمه الله: وحكى لي حسام الدِّين بنُ أبي علي أَنَّ الصَّالح أيوب كان يكره مجيء ابنه المعظم إليه، وكنا إذا قلنا له: أنفذ أحضره. ينفضُ يديه، ويغضب، ويقول: أجيبه أقتله!

وفيها أخرج الصَّالح أيوب فخر الدين بنَ الشيخ من الحبس بعد أَنْ أقام مُدَّة ثلاث سنين، ولاقى شدائد من الضِّيق والضر والقمل.

[ولقد بلغني أن القمل ما كان يمكِّنه من النوم، وفرَّج الله عنه، وأقام في الحبس ثلاث سنين، وقصته مشهورة.

وفيها توفي

أحمد بن عبد الخالق[٢]

ويعرف بابن أبي هشام، المحدِّث، إمام مسجد الفسقار، وكان يقرأ به الحديث، وكانت وفاته في المحرم، ودفن بالباب الصغير][١].

وفيها توفي الفلك بن المسيري بمصر[٣]، وعز الدين بن أبي عصرون بالقدس.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) ذكره الذهبي في «السير»: ٢٣/ ١٤٥ .

(٣) هو عبد الرّحمن بن هبة الله المسيري، له ترجمة في «نزهة الأنام» لابن دقماق: ص١٦٦، و«الوافي بالوفيات»: ١٨/ ٢٩٤-٢٩٥ ، و«شذرات الذهب»: ٥/ ٢٢١.

وفيها توفي

معين الدِّين[١]، الحسن بن [صدر الدين][٢] شيخ الشيوخ

أبو علي، وزير الصَّالح أيوب.

وهو الذي حَصَرَ دمشق، وكان مرضُه بالإسهال والدم، ونزع يوماً وليلة، ومات ليلة الأحد الثاني والعشرين من شهر رمضان عن ستٍّ وخمسين سنة، وصُلِّي عليه بجامع دمشق، ودفن بقاسيون إلى جانب أخيه عماد الدين، فكان بين بلوغ أُمْنِيَّته وحلول منيَّتِهِ أربعة أشهر وخمسة عشر يوماً.

ربيعة خاتون بنت أيوب[٣]

أخت صلاح الدين والعادل، تزوَّجها أولاً سعد الدين مسعود بن معين الدين أُنَر، وكان صلاح الدِّين قد تزوج أُخته، ثم مات سعدُ الدين، فزوَّجها صلاحُ الدين مظفَّرَ الدِّين بنَ زين الدين، فأقامت بإربل، ثم قدمت دمشق فأقامت بها، وخدمتها أَمَةُ اللَّطيف العالمة بنت النَّاصح بن الحَنْبلي، وأقامت في خِدْمتها مُدَّة، فحصل لها منها أموالٌ عظيمة، وبنت للحنابلة بقاسيون مدرسةً، وأوقفت عليها الأوقاف، وتوفيت ربيعة بدمشق بدار العقيقي، ودفنت بقاسيون، وقد جاوزت ثمانين سنة.

[لأن أباها أيوب مات في سنة ثمان وستين وخمس مئة، وتوفيت في هذه السنة، بينهما ست وسبعون سنة، وكانت لربيعة خاتون محارم كثيرة وقد ذكرناهم في ترجمة أختها ستّ الشام][٢].

وأما أَمَةُ اللَّطيف، فإنها لاقت بعد ربيعة خاتون الشَّدائد والأهوال، من الحبس والمصادرة [وأخذ المال][٢]، وأقامت محبوسة ثلاث سنين بقلعة دمشق.

---

(١) له ترجمة في «سير أعلام النبلاء»: ٢٣/ ١٠٠ ، و«المذيل على الروضتين»: ٢/ ٧٦-٧٧ ، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٢) ما بين حاصرتين من (ش).

(٣) لها ترجمة في «المذيل على الروضتين»: ٢/ ٧٦ ، وفيه تتمة مصادر ترجمتها.

قال المصنف رحمه الله: ودخلتُ مع نواب الصَّالح في قضيتها، وبالغتُ [في أمرها][1]، فأُطلقت من الحبس، وتزوَّجت بالأشرف ابن صاحب حمص، وسافر بها إلى الرَّحْبة وتل باشر، فتوفيت في سنة ثلاث وخمسين [غريبة عن الأهل والعشائر][1]، وظهر لها بدمشق من المال [والذخائر][1] والجواهر واليواقيت ما يساوي ست مئة ألف دِرْهم على ما قيل غير الأوقاف والأملاك، [فإن الدنيا تكون عاقبتها الهلاك،][1] ومع هذا كانت فاضلةً، صالحة، دَيِّنة، عفيفة، ولها تصانيف ومجاميع [، وتآليف][1].

عبد المحسن بن حمود بن المُحَسِّن[2]

أبو الفضل، أمين الدِّين، الحلبي.

كان كاتباً لعزِّ الدِّين أيبك المعظَّمي، وكان فاضلاً، بارعاً، دَيِّناً، صالحاً، حسن الخَطِّ، ذا مروءة وفضائل جَمَّة، وله تصانيفُ كثيرة، [وأنشدني لما نزل الفرنج على الطور في سنة أربع عشرة وست مئة: [من البسيط]

قُلْ للخليفة لا زالت عساكره ... بها إلى النصر إصدار وإيرادُ
إنَّ الفرنج بحصن الطور قد نزلوا ... لا تغفلن فإنَّ الطورَ بغدادُ][1]

ومن شِعْره في إجازة: [من الوافر]

أجزتُ لهم روايةَ ما أرادوا ... على شرطٍ يجانِبُهُ الفسادُ
بريَّا من كلامٍ فيه سهو ... ونَقْلٍ لا يوافِقُهُ السَّدادُ

وقال: [من الخفيف]

قد أجزتُ الذينَ فيها إلى ما الـ ... ـتمسوه من الإجازةِ مني
فلهم بعدها رواية ما صحَّ ... لديهمْ من الرِّواية عنِّي

وكانت وفاته في رجب، ودُفِنَ بباب توما.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

(٢) له ترجمة في «سير أعلام النبلاء»: ٢٣/ ٢١٥ـ٢١٦، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان[١]

أبو عمرو، تقيُّ الدِّين بن الصَّلاح، الفقيه، المحدِّث.

كان مقيماً بالقُدْس، ثم قَدِمَ دمشق لما خرب، وأقام بها، ودرَّس، وسمع الحديث، وأسمعه، وولاه الأشرف دار الحديث المجاورة للقلعة، وكان يفتي ويناظر، [وحضر دروسي في مدرسة شبل الدولة في سنة ثلاث وعشرين وست مئة، وتقلَّبت به الأحوال حتى][٢] توفي ليلة الأربعاء الخامس والعشرين من ربيع الآخر، وصُلِّي عليه بجامع دمشق، ودُفِنَ بمقابر الصوفية عند المُنَيْبع.

[٣]وكان قد سافر إلى البلاد، فسمع بنيسابور منصور بن عبد المنعم بن عبد الله بن محمد بن الفضل الفراوي، وكان ابن الصلاح يقول: للفراوي ثلاث كنى: أبو الفتح وأبو القاسم وأبو بكر. وسمع أيضاً المؤيد محمد بن علي الطوسي، وأبا بكر القاسم بن عبد الله بن عمر الصَّفَّار، وأبا المظفر عبد الرحيم بن أبي سعيد بن عبد الكريم بن محمد بن السمعاني. وسمع من مشايخنا عمر بن طبرزد وغيره، وزارني يوماً بتربة حسن على ثورا في أيام المعظم، وقال: تسأله أن يعطيني مدرسة. وكان المعظم يكرهه، فما زلت به حتى استصلحته له، فأخذ ينشدني في ذلك اليوم، لغيره]: [من مجزوء الكامل]

احـــذرْ مـــن الـــواواتِ أر ... بـعـةً فـهـنَّ مـن الـحـتـوفِ
واوَ الـــوصـــيـــةِ والـــوكـــا ... لـــةِ والـــوديـــعـــةِ والـــوقـــوفِ

عليُّ بنُ محمد بن عبد الصمد[٤]

أبو الحسن، علم الدِّين، السخاوي.

---

(١) له ترجمة في «وفيات الأعيان»: ٣/ ٢٤٣ـ٢٤٥، و«المذيل على الروضتين»: ٢/ ٦٨-٦٩، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

(٢) ما بين حاصرتين من (ش).

(٣) في (ت): ودفن بمقابر الصوفية عند المنيبع، قال المصنف رحمه الله: أنشدني لغيره، والمثبت ما بين حاصرتين من (ش).

(٤) له ترجمة في «وفيات الأعيان»: ٣/ ٣٤٠-٣٤١، و«سير أعلام النبلاء»: ٢٣/ ١٢٢-١٢٤، و«المذيل على الروضتين»: ٢/ ٧٣-٧٤، وفيه تتمة مصادر ترجمته.

قرأ القرآن [بالروايات][1] على الشَّاطبي، وشرح قصيدته، وشرح «المفصل» للزمخشري، وله تصانيف، وقصائد في مدح النبي ﷺ، [منها هذه الأبيات: [من الكامل]

قف بالمدينة زائراً ومسلِّماً ... واشكُرْ صنيعَ الدَّمع فيها إن همى
فهي المنازلُ لم تزل تشتاقها ... أبداً وكنت بها المعنَّى المغرما
والزقْ بتربتها الفؤاد فكم شفتْ ... داءً دفيناً قد أذابَ وأسقما
عجباً لصبٍّ عاينته عَيْنُه ... فرعى الحوادثَ واستطاع تكلُّما
هذا هو الحرمُ الشريف فقفْ به ... واقرا السَّلامَ على الرَّسول متمِّما
يا خاتم الرُّسُلِ الكرام ومَنْ له الـ ... آياتُ تحكي في السماء الأنجما
وله انشقاق البدر والجذع الذي ... أبدى حنيناً والجماد تكلّما
والماء ينبع في أنامل مَنْ دعا ... زُمراً إلى الزَّاد اليسير فأطعما
ودعا بأشجار الفلاة فأقبلت ... وأتى على حجرٍ أصمَّ فسلَّما
وعلا على متن البراق مشرَّفاً ... وسرى إلى أعلى السَّماء معظَّما
صلّى عليه الله ما انهلَّ الحيا ... وكسا الرِّياضَ ملوناً ومنمنما

من أبيات][1].

وكان إماماً، فاضلاً، مُفْتياً، زاهداً، عابداً، ورعاً، مقتنعاً من الدُّنيا باليسير، وكانت له حَلْقةٌ بجامع دمشق، يقرأ عليه فيها القرآن والعربية والحديث، فإذا خرج من الجامع إلى قاسيون ركب حماراً والطَّلبة يقرؤون عليه القرآن في الطَّريق، وختَّم ألوفاً من الناس، ونفع خَلْقاً كثيراً، وكانت وفاته ليلة الأحد ثاني عشر جمادى الآخرة بدمشق، ودُفِنَ بقاسيون. [سمع الحافظ السِّلَفي، وأبا القاسم هبة الله البوصيري، وأبا الطاهر بن عوف، وأبا الفضل محمد بن يوسف الغَزْنوي، وغيرهم.

وفيها مات صاحب الروم، وكان صبياً لعاباً، وقد ذكرناه][1].

(١) ما بين حاصرتين من (ش).

محمد بن عمر بن عبد الكريم[١]

أبو عبد الله، فخر الدِّين بن المالكي، الحِمْيَري.

كان منقطعاً بجامع دمشق بالمئذنة، متصدِّياً لقضاء حوائج المسلمين [عند الولاة والسَّلاطين][٢]، ذا مروءة، وكَرَمٍ، ودين، وفتوة، وزُهْدٍ في الدُّنيا، وتوفي ليلة الاثنين ثامن عشر شعبان، ودفن بمقابر الصُّوفية عند المُنَيْبع.

النَّاصح الفارسي

كان شيخاً مُسْرفاً على نفسه، لم يفارق الخمر [ساعة واحدة][٢] بدمشق، وحُمِلَ إلى حلب.

[وفيها توفي

نور الدين علي بن عقيل

كان شاباً، عاقلاً، دَيِّناً، صالحاً، وكان صهر الغرز الخليل على ابنته، رحمه الله تعالى][١].

السنة الرَّابعة والأربعون وستّ مئة

فيها في ثامن المحرم كُسِرَتْ الخُوارَزْمية على بحيرة حِمْص لما أمال الصَّالح أيوب إليه المنصور صاحب حمص، واقتطعه عن الصَّالح إسماعيل، كتب إلى الحلبيين يقول: هؤلاء الخُوارَزْمية قد أخربوا البلاد، والمصلحة أن نتفق عليهم. فأجابوه، وخرج شمس الدين لؤلؤ بالعساكر من حلب، وجمع صاحب حمص العرب والتركمان، وخرج إليهم عسكر دمشق، واجتمع كلهم على حمص، واتَّفق الصَّالح إسماعيل والخُوارَزْمية والنَّاصر داود وعِزُّ الدين أيبك، واجتمعوا على مرج الصُّفَّر، ولم ينزل النَّاصر من الكرك، وإنما بعث عسكره، وبلغهم أَنَّ صاحب حمص يريد

(١) له ترجمة في «المذيل على الروضتين»: ٢/ ٧٥ ، و«الوافي بالوفيات»: ٤/ ٢٦١ .

(٢) ما بين حاصرتين من (ش).